خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/٨م

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

في الخطبة الماضية ذكرت لكم أحداث غزوة أُحد، وأذكر الآن مختصراً ما كتبه المصلح الموعود رضي الله عنه بهذا الخصوص، قال حضرته:

بعد فرار جيش كفار مكة من المعركة في بدر، عادوا فأعلنوا عن نيّتهم في مهاجمة المدينة ثانية لينتقموا من المسلمين لما تلقوا هزيمةً في هذه المعركة. وبعد عام واحد شنّوا هجومهم وهم في عدّة تامة. لقد أحسوا بالمهانة وبالعار حتى إن رؤساء مكة حرّموا على أقرباء الذين لقوا مصرعهم في بدر أن يبكوا حدادًا عليهم. وقرروا توفير أرباح القوافل التجارية من أجل الحرب القادمة. وهكذا هاجم المدينة جيش من ثلاثة آلاف مقاتل بكامل العدة والعتاد والاستعداد تحت قيادة أبي سفيان. طلب النبي ﷺ من الصحابة مشورة فيما إذا كان ينبغي مواجهة العدوّ في المدينة أو خارجها، وكان هو ﷺ يرى أن ينتظر هجوم العدو فبالتالي يكون العدو مسؤولا عن بداية الحرب، كما سيكون من السهل للمسلمين مواجهة العدو وهم جالسون في بيوتهم. ولكن الشباب المسلمين –الذين لم تتح لهم فرصة المساهمة في غزوة بدر، وكانوا في حسرة وشَوق للاستشهاد في سبيل الله– أصرّوا على ألا يُحرموا من شرف الشهادة في سبيل الله، فقَبِل الرسول ﷺ رأيهم.

وعند الاستشارة ذكر النبي ﷺ رؤيا رآها، فقال:"إني رأيت بقرات تُذبح، ورأيت في ذباب سيفي ثلمًا، ورأيت أني أدخلتُ يدي في درع حصينة، ورأيت أنني أمتطي كبشًا."

سأله الصحابة عن تفسير ذلك فقال ﷺ: أما ذبح البقر فالمراد به استشهاد بعض أصحابي في الحرب، وأما انفصام سيفي فأوّلتها شخصًا كبيرًا من أهل بيتي يُستشهد، أو قد أُصابُ أنا بضرر ما في هذه المهمة، أمّا إدخالي يدي في الدرع الحصينة فيعني أننا لو بقينا في المدينة كان خيرًا لنا، وأما ركوبي الكبش فأوّلته أننا سنتغلب على قائد الكافرين، وأنه سيُقتل بأيدي المسلمين.

فمع أنه كان واضحًا من هذه الرؤيا وتفسيرها أن البقاء في المدينة أفضل للمسلمين، غير أن الرسول ﷺ لم يصرّ على ذلك، لأن تفسير الرؤيا كان من اجتهاده و لم يكن وحيًا تلقّاه، فقَبِلَ رأيَ الأغلبية وقرر الخروج للقاء العدو.

هناك استعارات كامنة في الرؤى، وذكر المسيح الموعود عليه السلام حول الاستعارات الكامنة في رؤى النبي ﷺ فقال: "لا تخفى على الذين قرأوا الأحاديث الاستعارات الموجودة في مكاشفات النبي ﷺ ورؤاه. فمرة رأى ﷺ أنه يلبس في يديه سوارين من ذهب، فأوّلهما بكذَّابَينِ أعلنا النبوة كذبًا. ومرة أخرى رأى ﷺ في الرؤيا والكشف أن بقرات تُذبَح، وكان المراد منها الصحابة الذين استُشهدوا في معركة أُحد... وهناك أمثلة كثيرة من هذا القبيل توجد في مكاشفات الأنبياء الآخرين أيضا؛ حيث كُشف لهم في الظاهر شيء، وكان المراد الحقيقي منه شيء آخر. فإن وجود الاستعارات والمجاز في كلام الأنبياء ليس أمرا شاذا أو نادر الوقوع." (إزالة الأوهام)

على أية حال، لما تقرر مواجهة العدو خارج المدينة أمر النبي ﷺ أصحابه للاستعداد للحرب، كما أنه بنفسه أيضا أخذ يستعد لها. وورد تفصيل ذلك كما يلي:

كما ذُكر كان رسول الله ﷺ كارهًا الخروج بناء على الرؤيا، فلم يزالوا برسول الله ﷺ حتى وافق على ذلك، فصلى الجمعة بالناس ثم وعظهم وأمرهم بالجد والشجاعة في الحرب وبشرهم بأن لهم النصرة ما صبروا. ثم أمرهم بالتهيؤ لعدوّهم، ففرح الناس بذلك، ثم صلّى بالناس العصر وقد حشدوا، كما حضر أهل العوالي ثم دخل رسول الله ﷺ بيته ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فعمماه وألبساه لأمته، واصطَفَّ الناس ينتظرون خروجه ﷺ، فقال لهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير: استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج فردّوا الأمر إليه، أي فما أمركم به وما رآه يكون خيرًا لنا. فأطيعوه فخرج رسول الله ﷺ وقد لبس لأمته وظاهر بين درعين أي لبس درعا فوق درع، وهما :ذات الفضول، وفضة، وذات الفضول هي التي أرسلها إليه ﷺ سعد بن عبادة رضي الله عنه حين سار إلى بدر، وعندما توفّي النبي عليه السلام كان هذا الدرع ﷺ مرهونا عند ليهودي، وأفتكها أبو بكر رضي الله عنه أي أدى ثمنه واسترجعه.

كان النبي ﷺ قد تقلد السيف في جنبه، وألقى الترس على ظهره، وفي رواية: ركب ﷺ فرسه السكب، وتقلد القوس، وأخذ قناته بيده، على أية حال، من الممكن أن يكون قد جمع بين ذلك، ولعل بناء الاختلاف على اختلاف رؤية الناس.

فلما خرج النبي ﷺ لابسًا لأمته أُخبِر أن مالك بن عمرو النجاري قد توفي وأن نعشه قد وضع في مكان مخصص للصلاة عليه، فصلى ﷺ عليه الجنازة قبل الخروج، فقال له ﷺ بعض الصحابة: ما كان لنا أن نخالفك، ولا نستكرهك على الخروج فاصنع ما شئت. وفي رواية :فإن شئت عدم الخروج من المدينة

فاقعد، فقال ﷺ: ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه، وفي رواية :حتى يقاتل.

ذكر مرزا بشير أحمد ﷺ تهيؤ النبي ﷺ للحرب وشعور الصحابة بالخطأ فقال:

لقد دخل النبي ﷺ إلى بيته حيث لبس عمامته بمساعدة من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولبس لباسه، ثم تقلد لأمته ثم خرج باسم الله تعالى. ولكن في هذه الأثناء شعر الشباب بخطئهم لما نبههم بعض الصحابة أنه ما كان ينبغي لهم الإصرار على رأيهم مقابل رأي النبي ﷺ فأبدى معظمهم الندم، فحين رأوا النبي ﷺ لابسا السلاح والدرعَين والخوذ وغير ذلك زاد ندمهم وقالوا له متفقين يا رسول الله لقد أخطأنا بالإصرار على رأينا على رأيك، فاصنع ما بدا لك فسيكون فيه الخير إن شاء الله. فقال ﷺ لا ينبغي لنبي الله إذ لبس السلاح أن يضعها حتى يحكم الله فامضوا على اسم الله تعالى، فلكم النصر ما صبرتم.

لقد تكلم سيدنا المصلح الموعود ﷺ أيضا عن هذا الموضوع فقال:

حين خرج النبي ﷺ من بيته ندم الصحابة الشباب وقالوا يا رسول الله إنما رأيك صواب إذ يجب أن نتصدى للعدو في المدينة، فقال: إن نبي الله حين يلبس الدرع فلا يضعه. فالآن سنتقدم إلى الأمام مهما يكن من أمر، ولئن صبرتم فسوف يحالفكم نصرُ الله.

باختصار بدأ تجهيز الجيش الإسلامي وانطلق النبي ﷺ من المدينة بجيش قوامه ألف شخص، وطلب ثلاثة رماح وربط عليها ثلاثة ألوية، ثم دفع لواء الأوس لأسيد بن حضير ودفع لواء الخزرج إلى الحباب بن المنذر (ويرى البعض أنه دفعه لسعد بن عبادة) ودفع لواء المهاجرين إلى سيدنا علي، واستخلف عبد الله بن أم مكتوم على المدينة ليؤم الصلاة. ثم ركب ﷺ حصانه السكب، وعلق ترسه وأمسك بيده رمحه. وقد ورد في رواية أن عند المسلمين يوم أحد كان حصانان، أحدهما عند النبي ﷺ واسمه السكب، والثاني كان عند أبي بردة واسمه مُلاوح، وكان المسلمون أيضا قد تزينوا بالسلاح، وفيهم مائة دارع، وبدأ سعدان أي سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يعدوان أمامه ﷺ وكانا دارعَين، وكان الصحابة الآخرون على يمينه ويساره.

فلما بلغ الثنية رأى جيشا مسلحا، وكان لسلاحهم دويٌّ، فسأل ﷺ ما هذا؟ فقال له الصحابة الكرام هؤلاء حلفاء عبد الله بن أبي من اليهود. فسأل هل أسلم اليهود؟ فقيل له لا، فقال: لن نستعين بالكفار على المشركين.

قد كتب عن ذلك حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ أيضا فقال:

ثم جهّز النبي ﷺ ثلاثة ألوية للجيش الإسلامي، فدفع لواء الأوس إلى أسيد بن حضير ودفع لواء الخزرج إلى الحباب بن المنذر ودفع لواء المهاجرين إلى سيدنا علي، ولاحقا سُلم هذا اللواء لمصعب بن عمير

واستخلف عبد الله بن أم مكتوم على المدينة ليؤم الصلاة، وخرج من المدينة في جماعة كبيرة من الصحابة بعد صلاة العصر. وخرج سيد الأوس والخزرج سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يعدوان دارعين أمام راحلة النبي ﷺ بينما الصحابة الآخرون كانوا يمشون على يمينه ويساره. وانطلق النبي ﷺ ونزل بموضع الشيخين، وهما جبلان حول المدينة ثم استعرض أوضاع الجيش وأعاد غلمانا كانوا في رأيه لم يبلغوا الخامسة عشر من عمرهم، أو كان عمرهم أربعة عشر سنة. وعن الإمام الشافعي أنه ﷺ أعاد سبعة عشر غلاما عُرضوا عليه ﷺ وكان عمرهم أربعة عشر عاما، ثم عُرض عليه غلمان لهم خمسة عشر عاما، فسمح لهم بالذهاب معه، فالذين أعيدوا لصغر سنهم، كانوا أولادا متحمسين وذكرت أسماء بعضهم أيضا في الروايات، وهم: عبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وأسامة بن زيد وزيد بن الأرقم وبراء بن عازب، أسيد بن ظهير وأرابة بن الأوس وأبو سعيد الخدري وأوس بن ثابت وسعد بن بحير وابن معاوية البجلي وسعيد بن حبتة (وحبتة هذه أمه) وسعد بن عقيب وزيد بن جارية وجابر بن عبد الله (وهذا ليس من روى الأحاديث) ورافع بن خديج وسمرة بن جندب.

فقيل للنبي ﷺ عن رافع بن خديج إنه يجيد الرماية فأجازه، فكان ﷺ أولا ردَّه ولما علم أنه رامي جيد سمح له بالذهاب معه، فقال له ﷺ سمرة بن جندب يا رسول االله قد سمحت لرافع بن خديج بالذهاب معك ورددتني مع أنني أقوى منه في المصارعة، فقال لهما أن يتصارعا، فصرع سمرةُ رافعا فأذن له النبي أيضا بالذهاب معه.

ثم ورد في الرواية: فلما فرغ العرض وغابت الشمس أذن بلال بالمغرب، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه، ثم أذن بالعشاء فصلى بهم، وبات بالشيخين، واستعمل على الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة في خمسين رجلا يطوفون بالعسكر.

وقال ﷺ: "من يحفظنا الليلةَ؟" أي من سوف يحرس النبي ﷺ والجيش كله ومن يكون قريبا من حضرته ﷺ وكان يقصد من ذلك أن يتأكد من الحرس جيدًا. فقام ذكوان بن عبد قيس فلبس درعه، وأخذ درقته، فكان يحرس رسول الله ﷺ لم يفارقه، ونام رسول الله ﷺ حتى كان السحر.

وفي رواية أنه ﷺ قال صباحا: رأيت في الرؤيا أن الملائكة يغسلون حمزة.

وعن ذلك كتب حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ في كتابه سيرة خاتم النبيين:

أُحُد جبلٌ يقع على بعد ثلاثة أميال إلى شمال المدينة، في منتصف الطريق، عسكر النبي ﷺ بموضع قريب من المدينة يسمى بالشيخين، فأمر ﷺ بعرض العسكر الإسلامي فاستصغر غلمانًا جاؤوا متحمسين للجهاد فردّهم.

فأُمر عبد الله بن عمر وأسامة بن زيد وأبو سعيد الخدري وغيرهم بالعودة. وكان رافع بن خديج من الأولاد الذين أُمروا بالعودة، ولكنه كان يجيد الرماية، فشفع له والده إلى النبي ﷺ بأن يسمح له

بالمشاركة في الجهاد بسبب مهارته في الرماية، فرفع النبي ﷺ بصره إلى رافع، فوجده ينتصب كالجنود الشجعان لكي يبدو نشطا وطويلا، فنجحت حيلته هذه وسمح له النبي ﷺ بالخروج معه للجهاد.

وكان سمرة بن الجندب بين هؤلاء الأولاد الذين أُمروا بالعودة، فلما رأى ذلك ذهب إلى أبيه وقال له إذا كان رافع قد سُمح له بالخروج للجهاد فليُسمَحْ لي أيضا لأنني أقوى منه وأهزمه في المصارعة.

ففرح الأب بإخلاص ابنه فرحا شديدا وأتى به النبي ﷺ وأخبره بما يتمناه ابنه. فتبسم النبي الله ﷺ وقال: فليتصارع رافع وسمرة لنعلم من الأقوى! فصرع سمرة رافعًا في لمح البصر، فأجازه رسول الله ﷺ للسير معه.

وهكذا فرح هذا الصبي البريء. وكان المساء قد حان، فأذّن بلال، وصلى الصحابة وراء النبي ﷺ. ثم نزل المسلمون في ذلك المكان للمبيت، وجعل النبي ﷺ محمد بن مسلمة مسؤولا عن الحراسة بالليل، فظل طوال الليل يطوف بجيش المسلمين مع خمسين من أصحابه.

وكان عبد الله بن أبي بن سلول قد خرج في أول الأمر ولكنه رجع فيما بعد من الطريق، وبيان ذلك أن رسول الله ﷺ سار عند السَّحر من مكان يدعى "الشيخين"، فحانت صلاة الفجر بالشوط، وهو مكان بين المدينة ووادي قناة، ومن هنالك رجع عبد الله بن أبي بن سلول ومن معه من أهل النفاق وهم ثلاثمائة رجل، خاذلين النبيَّ ﷺ.

وقال عبد الله ابن سلول عند الانصراف: عصاني (يعني النبي ﷺ) وأطاع الوِلدانَ الأغرار، ولا ندري علامَ نقتُل أنفسنا؟ ارجعوا أيها الناس. فرجع المنافقون بأمر رئيسهم خاذلين المسلمين.

فلما رآهم عبد الله بن عمرو، وهو والد جابر رضي الله عنهما، وكان في الخزرج كعبد الله بن أبيّ، قال لهم: يا قوم أنشدكم الله هل يليق بكم أن تخذُلوا قومَكم ونبيَّكم والعدوُّ أمامكم بكل قوته ومنعته. قالوا: لو نعلم أنكم ستقاتلون ما خرجنا معكم، كنا نظن أنه يكون هناك قتال، وهكذا أبوا إلا الانصراف مع أنهم خرجوا من قبل بعد أن أعدّوا عدّتهم للقتال. فقال لهم عبد الله بن عمرو: أهلكَكم الله يا أعداء الله، فسيُغني الله عنكم نبيَّه.

وفي رواية نقلها العلامة ابن الجوزي: لما رأى بنو سلمة وبنو حارثة عبدَ الله بن أبي قد خذل وغدر همّوا بالانصراف وكانوا جناحين من العسكر، ولكن عصمهم الله من هذه المعصية وامتنعوا عن العودة. فأنزل قوله تعالى: إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا واللهُ وليُّهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون).

وبعد غدر عبد الله بن أبي وأصحابه الثلاثمئة بقي مع رسول الله ﷺ سبعمائة رجل فقط.

بعد انصراف ابن أبي عائدا قالت الأنصار: يا رسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود، أي يهود المدينة، ولعلهم عنوا بهم بني قريظة لكونهم حلفاء لسعد بن معاذ وهو سيد الأوس، وقال بعضهم: كان سعد في الأنصار كأبي بكر في المهاجرين- فقال النبي ﷺ: لا حاجة لنا فيهم.

وكتب حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ بهذا الشأن: في اليوم التالي، يوم السبت، ١٥ من شوال من السنة الثالثة الهجرية الموافق ٣١ مارس عام ٦٢٤ الميلادي، تقدم الجيش المسلم وقت السحر وصلّوا الفجر في الطريق وبلغوا سفح جبل أحد في الصباح الباكر. وغدر الخبيثُ رأسُ المنافقين عبدُ الله بن أبي بن سلول بالمسلمين في هذا المقام وانفصل مع ثلاث مئة من زملائه عن الجيش المسلم ورجع إلى المدينة قائلا لم يأخذ محمد (ﷺ) برأيي وأخذ برأي الشبان الأغرار وخرج من المدينة، فلن أقاتل معه العدو. فحاول البعض نصحه مِن عنده بأن هذا الغدر لا يجوز، لكنه لم يستمع لأحد وظل يقول هذه ليست بحرب، ولو كانت حربا لشهدتها، إنما هو إلقاء للنفس في التهلكة. وبعد ذلك نقص عدد المسلمين إلى سبع مئة شخص فقط إزاء ثلاث آلاف من المحاربين الكفار، أي كانوا أقل من ربع الكفار، كما كان الجيش المسلم أقل من جيش قريش راحلةً وسلاحا وعتادا، إذ لم يكن عندهم سوى مئة دارعٍ وفرسين اثنتين، بينما كان في جيش الكفار سبع مئة دارع ومئتا فرس وثلاثة آلاف بعير. وفي هذه الحالة من الضعف التي كان المسلمون يدركونها جيدا، أصابت خيانةُ عبد الله بن أبي وثلاثمائة من أصحابه بعضَا من ضعاف القلوب من المسلمين بالقلق والاضطراب وبدأ بعضهم يتزعزع. وكما أشار القرآن الكريم إلى ذلك ففي هذه الحالة من الذعر والاضطراب أرادت قبيلتان من المسلمين، وهما بنو حارثة وبنو سلمى، العودةَ إلى المدينة، ولكن كان في قلوبهم نور الإيمان فتثبتوا بعد الاضطراب ثانية، ولم يبرحوا مع سيدهم رغم رؤية أسباب الموت ماثلة أمام أعينهم.

وقال حضرة المصلح الموعود بهذا الشأن: سار الرسول ﷺ من المدينة في جيش قوامه ألف جندي، ونزل للمبيت على مسافة قليلة من المدينة. وكان من عادة الرسول ﷺ أنه إذا اقترب من العدو ترك جيشه ليستريح قليلا ويرتب عدّته. وعند صلاة الفجر خرج ﷺ، فعلم أن بعض اليهود قد انضموا للمسلمين بحجة نصرة قبائل المدينة التي بينها وبينهم معاهدات، ولكنه ﷺ كان على علم بكيد اليهود ومؤامراتهم فأمر بإرجاعهم. فانسحب عبد الله بن أبيّ بن سلول زعيمُ المنافقين مع ثلاثمئة من أتباعه قائلاً لم يعُد الأمر قتالا الآن، إنما هو إلقاء النفس في التهلكة. إذًا كان هذا أحد أسباب انصرافه وخذلانه للمسلمين حيث اعترض على عدم ضم المسلمين لليهود إلى صفوفهم وقال إنهم يلقون بأنفسهم في التهلكة، إذ يمنعون مَن جاءوا لنصرتهم في القتال. فكانت النتيجة نقصان عدد المسلمين إلى سبعمئة مقاتل، فصاروا أقل مِن رُبْع جيش الكفار عددا وأضعفَ منهم عدّةً وعتاداً بكثير، إذ كان قوام جيش الكافرين سبعمئة مدرع إزاء مئة مدرع مسلم فقط، ومائتا فرس إزاء فرسين فقط لدى المسلمين. لما وصل النبي ﷺ بجيشه إلى حرة بني حارثة، ذب فرس أحد الصحابة بذنَبه فأصاب كلاب سيفه، وأحس بالتهديد، فاستل سيفه فورا. يقول الراوي: كان رسول الله ﷺ يحب الفأل الحسن ولا يعتاف. فقال النبي ﷺ له: يا صاحب السيف شم سيفك، إني أخال السيوف ستسل اليوم فيكثر سلها. (هذا ما يُتفاءل منه)

ثم خاطب النبي ﷺ الصحابة فقال: من رجل يخرج بنا على القوم من كثب من طريق لا يمر بنا عليهم؟ فقال أبو خيثمة: أنا يا رسول الله. -قال ابن سعد وآخرون أن اسمه أبو حثمة- فأخذه مع المسلمين، من حرة بني حارثة وأراضيهم حتى وصل إلى شعب أحد ونزل هناك، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد، واستقبل المدينة، وهنا خطب رسول الله ﷺ المسلمين، وصف المسلمون بأصل أحد، وحانت صلاة الفجر يوم السبت والمسلمون يرون المشركين، فأذن بلال، وأقام، وصلى رسول الله ﷺ بأصحابه الصبح صفوفا.

قال محمد بن عمر الأسلمي: قام رسول الله ﷺ فخطب الناس فقال: " أيها الناس أوصيكم بما أوصاني الله تعالى به في كتابه، من العمل بطاعته، والتناهي عن محارمه، ثم إنكم اليوم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذي عليه، ثم وطن نفسه له على الصبر واليقين، والجد والنشاط، (لا بد من الصبر وتحقيق هدفكم الذي جئتم من أجله) فإن جهاد العدو شديد كريه، قليل من يصبر عليه إلا من عزم الله تعالى رشده، فإن الله تعالى مع من أطاعه، وإن الشيطان مع من عصاه فافتتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله تعالى وعليكم بالذي أمركم به، فإني حريص على رشدكم، وإن الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز، والضعف، مما لا يحب الله تعالى، (أي ينبغي ألا يكون اختلاف) ولا يعطي عليه النصر ولا الظفر. يا أيها الناس جدد في صدري أن من كان على حرام فرق الله تعالى بينه وبينه، (لا يحب الله أن يرتكب عبده حراما) ومن رغب له عنه غفر الله له ذنبه، ومن صلى علي صلاة صلى الله عليه وملائكته عشرا، ومن أحسن من مسلم أو كافر وقع أجره على الله، في عاجل دنياه وآجل آخرته، ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فعليه الجمعة إلا صبيا أو امرأة أو مريضا أو عبدا مملوكا، ومن استغنى عنها استغنى الله عنه، (كأن النبي ﷺ أسدى بالنصائح الشاملة، لعله رأى بناء على الرؤى أن يُسدي بنصائح شاملة، ثم قال) والله غني حميد. ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله تعالى إلا وقد أمرتكم به، ولا أعلم من عمل يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه، وأنه قد نفث في روعي الروح الأمين أنه لن تموت نفس حتى تستوفي أقصى رزقها لا ينقص منه شيء، وإن أبطأ عنها، (أي إن الله تعالى يجزي الأعمال، والمراد من الرزق هنا جميع أنواع الرزق) فاتقوا الله ربكم، وأجملوا في طلب الرزق، ولا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله تعالى، (أي تسعوا للأعمال الصالحة والأخلاق العالية والرزق الطيب) فإنه لا يقدر على ما عنده إلا بطاعته، قد بين لكم الحلال والحرام غير أن بينهما شبها من الأمر، لم يعلمها كثير من الناس إلا من عصم الله تعالى فمن تركها حفظ عرضه ودينه، ومن وقع فيها كان كالراعي إلى جنب الحمى أوشك أن يقع فيه، وليس ملك إلا وله حمى، ألا وإن حمى الله تعالى محارمه، والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى عليه سائر جسده.

لو تذكر المسلمون هذه الأشياء اليوم، فلن يجرؤ أي عدو على الاعتداء عليهم.

يروي الخليفة الأول ﷺ للمسيح الموعود عليه السلام : إن العدو وصل من مكة إلى المدينة يوم أحد. العدة الحربية التي جاء بها أبو سفيان من الشام والتي لمنعها والتخلص منها ذهب النبي ﷺ إلى بدر حيث انكسرت قوة الكفر، الآن جُمعت نفس العدة لمحاربة المسلمين. ويشير القرآن إليه وإلى منفقه في الآية التالية: ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا يُنْفِقُوْنَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوْا عَنْ سَبِيْلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُوْنَهَا ثُمَّ تَكُوْنُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾. انضم إلى قريش بنو تهامة وبنو كنانة في هذه الحرب. وبلغ عدد جيش الكفار ثلاثة آلاف وجميع القوات مسلحة، سبعمائة منهم من الركاب المدرعين، وكلهم مصممون على الانتقام من المسلمين عاجلا. الجيش الغاضب تماما من هذه القبائل الصغيرة بقيادة أبي سفيان، عزز جبهته في مكان معين شمال شرق المدينة، و لم تكن المسافة بينها وبين المدينة سوى مضيق جبل أحد. وفي هذه المرحلة بدأ الكفار في تدمير حقول وحدائق أهل المدينة المنورة. فغضب الصحابة غضبًا شديدًا من ذلك، وحميتهم للإسلام دفعتهم إلى الانتقام. فألحّوا على النبي ﷺ للسماح لهم بالدفاع.

لقد خرج النبي من المدينة مع ألف رجل. عبد الله بن أبي زعيم عاش في المدينة وكان مع المسلمين في الظاهر، انفصل الآن عن المسلمين مع ثلاثمائة من رجاله أثناء المعركة وفي هذا الوقت الصعب، مما خفض عدد المسلمين من ألف إلى سبعمائة . لم يكن في هذا العدد الصغير سوى حصانين، لكن المجاهدين استمروا في التقدم بكل شجاعة، وبعد أن عبروا بساتين النخيل وصلوا إلى جبل أحد. وبقي عسكر الإسلام في كنف هذا الجبل طول الليل. وبعد صلاة الفجر في الصباح، تجمعوا في الميدان، وعندها بدأت المعركة. وسأذكر تفاصيلها لاحقا إن شاء الله.

أطلب الدعاء للفلسطينيين بين حين وآخر، فاستمروا في الدعاء. بعد انتهاء الهدنة مؤخرا، يحدث نفس الشيء كما كان يتوقع، وتقوم الحكومة الإسرائيلية بقصف ومهاجمة كل منطقة في غزة بكثافة أكبر من ذي قبل، ويُستشهد الأطفال والمدنيون الأبرياء من جديد. والآن، قال عنه حتى عضو الكونغرس الأمريكي، الذي هو يهودي على الأغلب: لقد كفي الآن.

يجب على أميركا أن تلعب دورها في إيقاف القتال. الآن بدأ الرئيس الأميركي أيضا يقول بصوت خافت جدا أنه يجب إيقاف إطلاق الرصاص والقصف الجاري في الشمال والجنوب على حد سواء. بينما كان يقال من قبل إن على الناس أن يهاجروا إلى المنطقة الشمالية ولن يتضرروا، أما الآن فالحال نفسها سائدة في تلك المنطقة أيضا. ولكن ليس منشأ كلام الرئيس الأميركي هو مواساة البشرية، يجب ألا نسيء فهمها بل الحق أن سببها عائد إلى مصلحته الشخصية لأن الانتخابات في أميركا قريبة، والشباب هنالك يبدون ردة فعلهم، الآن ويطالبون بإيقاف الحرب. كذلك هناك مواطنون أميركان مسلمون أيضا يرفعون عقيرتهم. إذن، كل ما يقوم به الرئيس الأميركي إنما هو لكسب الأصوات وليس مآله مواساة الفلسطينيين أو المسلمين.

كذلك بدأ الآن صوت البلاد الإسلامية يتقوى إلى حد ما، ولكن لن تتحقق الفائدة ما لم يسعوا لإيقاف الحرب متحدين. ندعو الله تعالى أن يخلق فيهم الوحدة. العالم غير المسلم يعرف جيدا أنه لا وحدة في المسلمين بل هم عاكفون على قتل بعضهم بعضا. انظروا إلى ما يحدث في اليمن والبلاد الأخرى إذ يُقتل الآلاف بل مئات آلاف الأطفال وغيرهم من الأبرياء على أيدي المسلمين في بعض الأماكن. وهذا ما يشجع الأغيار فهم يحسبون أنه لن يحدث شيء إن ظلموا المسلمين لأن المسلمين يظلمون بعضهم بعضا. فما دام المسلمون لا يأبهون بأرواح المسلمين فأنى للأعداء أن يأبهوا بها. لقد حذر الله تعالى في القرآن بشدة من قتل مسلمٍ مسلمًا، وهو أن قاتل المسلم سيكون من أهل النار. ندعو الله تعالى أن يتحد المسلمون ويكونوا سببا لرفع الظلم عن العالم بدلا من الاقتتال فيما بينهم.

تحاول الأمم المتحدة أيضا رفع صوتها قليلا، ولكن مَن يسمع لها. تقول الأمم المتحدة بين حين وآخر بأننا سنفعل كذا وكذا ولكنها ليست قادرة على فعل شيء لأنه لا يسمع لها أحد إذ تستخدم القوى الكبرى حقها في الفيتو. ندعو الله تعالى أن يرحم المسلمين. على أية حال، علينا — كما أرسلت رسالة من قبل إلى فروع الجماعة — أن نوجه في دائرة نفوذنا أنظار رجال السياسة فيما حولنا باستمرار إلى إنهاء هذا الظلم الجاري. ويجب أن تروجوا في حلقة معارفكم أن علينا أن نسعى جاهدين لإنهاء هذا الظلم. أنقذ الله الأبرياء من الظلم.

بعد الصلاة سأصلي صلاة الغائب على مرحومَين. أولاهما هي المرحومة السيد مسعودة بيغم –أرملة داعية الجماعة الأسبق في هولندا السيد عبد الحكيم أكمل– التي توفيت قبل بضعة أيام، إنا لله وإنا إليه راجعون. كان جد المرحومة من الأمّ ميان عبد الصمد وأبو جدها ميان فتح دين من سكان قرية سيكهوان قرب قاديان وكانا من أصحاب المسيح الموعود عليه السلام. لقد قامت المرحومة بخدمة الجماعة مع زوجها في هولندا إلى سنين طويلة. في عام ١٩٥٧م سافر السيد عبد الحكيم أكمل إلى هولندا لأول مرة بأمر من سيدنا الخليفة الثاني رضي الله عنه و لم تصحبه زوجته حينذاك ثم سافرت إلى هولندا في عام ١٩٦٩م. بعد فترة عاد زوجها إلى باكستان. ثم سافرت المرحومة إلى هولندا في عام ١٩٨٦م. فقد قضت ١٥ عاما تقريبا وحدها بعد الزواج في أثناء خدمة زوجها خارج باكستان.

من أبرز خدمات المرحومة في أثناء إقامتها في هولندا تأسيس لجنة إماء الله هناك. وكان لها شرف كونها أول رئيس لجنة إماء الله. كانت علاقتها مع الخلافة مبنية على إخلاص ووفاء كبيرين. كانت سيدة تقية وورعة جدا وملتزمة بالصلاة والصوم، ومشتركة في نظام الوصية. تركت وراءها ثلاثة أبناء وبنتا. وكلهم يخدمون الجماعة بطريقة أو بأخرى بإخلاص كبير. كان أحد أبنائها رئيس مجلس أنصار الله في هولندا. وإن ابنها الثاني قد انتُخب رئيسا لمجلس أنصار الله في هذه السنة على ما أظن. وهو يخدم

الجماعة إضافة إلى هذا المنصب أيضا. ندعو الله تعالى أن يغفر للمرحومة ويرحمها ويوفق أولادها للاستمرار في حسناتها.

والجنازة الثانية هي للمرحوم الأستاذ عبد المجيد الذي كان قد نذر حياته، وكان معلما في المدرسة الثانوية "تعليم الإسلام" في ربوة. بعد التقاعد قبل بضع سنين كان قد استقر في كندا وتوفي هنالك، إنا لله وإنا إليه راجعون. وقد ترك وراءه أرملة وثلاثة أبناء وابنتين. يقول ابنه السيد مظهر مجيد إن والدي كان يتحلى بمزايا كثيرة، منها أنه قضى حياته كالدراويش وبتواضع شديد. تقول والدتنا إنها وجدته منذ الزواج متحليا بسيرة ملائكية. بعد الزواج ببضع سنين وجدته ذات يوم يدعو الله تعالى في الصلاة بصوت عال وسألته بعد الصلاة: ماذا كنت تدعو؟ قال: أتمنى أن أنذر حياتي وأخدم كمعلّم في مدرسة تعليم الإسلام في ربوة. (كان حينها يعمل في منطقة أخرى) ودعوت الله تعالى أن يحقق الله أمنيتي ويُرضي زوجتي أيضا بذلك ويشرح صدرها. فقالت له زوجته: ابعث إلى سيدنا أمير المؤمنين رسالة بهذا الشأن فورا، ففعل بفضل الله تعالى. وقُبل طلبه، وكان ذلك في زمن الخليفة الثاني ﷺ، فانتقل المرحوم إلى ربوة.

يتابع ابنه قائلا: كلما استلم والدنا راتبه كان يأتي إلى سكرتير المال فورا ويدفع التبرع الواجب عليه، ويقدم المبلغ المتبقى لوالدتنا. فقد عاش ظروفا صعبة جدا بعد انتقاله إلى ربوة ولكنه لم يشكُ قط، ولم يطمع في الأشياء الدنيوية. كان ينصح إخوته وأخواته بأداء الصلاة في ميقاتها والاعتصام بالجماعة والخلافة دائما. في تلك الأيام لم تكن ظروف الجماعة المالية جيدة فواجه ضيقا ماليا كثيرا ولكنه عاش بالصبر والمثابرة دائما حين كان معلّما في المدرسة.

أقول: عندما كنت أدرس في المدرسة جاء المرحوم إلى ربوة معلّما. ليس الأمر أن ابنا يمدح أباه، بل لاحظت بنفسي أيضا أنه كان فعلا يتحلى بالمزايا المذكورة. كان غير الأحمديين أيضا متأثرين به. في عام ١٩٨٥م رفعته الحكومة منصبا. ثم أممت الحكومة المدارس في عام ١٩٧٣م أو ١٩٧٤م بقي المرحوم في المدرسة في ربوة إلى فترة. وكما قلتُ رفعته الحكومة منصبا وأرسلته إلى مدينة "بهيرة" بصفته مديرا للمدرسة الإسلامية الثانوية. كان نائب المدير في المدرسة إماما في المسجد المحلي أيضا، وكان يبدو أنه يعارض المرحوم لكونه أحمديا، ولكنه كان يحترمه كثيرا بسبب حسن أخلاقه ويُكرمه كثيرا ويعامله بأدب كبير.

يقول الراوي أنه سمع نائب المدير يقول للمعلّمين الآخرين: إن هذا الشخص يتحلى بسيرة الملائكة مع كونه أحمديا.

أقول: هكذا كان المرحوم سببا لتبليغ دعوة الجماعة بصمت وكان يترك تأثيره الطيب على المعارضين أيضا. كان تلاميذه كثيرا ما يأتون لملاقاته ويذكرون له أنهم كانوا تلاميذه. ولكن المرحوم كان دائما

يفتخر بتلاميذه الذين نذروا حياتهم في سبيل الله وكان يذكر بكل سعادة أن فلانا وفلانا من تلاميذي قد نذروا حياتهم وكان يحترمهم كثيرا. ندعو الله تعالى أن يغفر للمرحوم ويرحمه ويرفع درجاته ويوفق أولاده أيضا للاستمرار في حسناته.